المحاضرة الثالثة: الدلالة الصوتية

أولا– تعريف: هي المعاني المستفادة من الكلمات اعتماداً على مستوياتها الصوتية مثل: طبيعة الأصوات وترتيبها، وعلى ظواهرها النطقية مثل: الإعلال، الإبدال، القلب، النبر، التنغيم.

ثانيا– أمثلة:

1- قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزّاً﴾ [مريم: 83]، تأزهم تعني: تزعجهم وتُقلقهم، والهمزة أخت الهاء، فتقارب اللفظان لتقارب المعنيين، فالأز هنا يشبه الهز، غير أنه أكثر قوة منه، فالأز هو الدفع بصورة مقلقة مربكة، أما الهز فهو الحمل، والأز أعظم في النفوس من الهز الذي يقع على ما لا بال له؛ كالجذع وساق الشجرة، ونحو ذلك، لأن صوت الهمزة الشديد في الأز أقوى من صوت الهاء الرخو في الهز رغم خروجهما من موقع واحد في عمق الرئتين، وكلمة (على) هنا تفيد العلو وتسليط الشر بعكس (إلى) التي تفيد إرسال الخير، ولاحظ الفرق أيضا هنا بين العين والهمزة، فالعين أعمق من الهمزة على رأي الخليل بن أحمد الفراهيدي.

2- قال تعالى: ﴿فيهما عينان نضّاختان﴾ [الرحمن: 66]، النضخ هو خروج الماء بدفقٍ وشدةٍ، وهو أعلى من النضح الذي يعني سيلان الماء وجريانه بلطف وسلاسة وهدوء، يناسبه قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ﴾ [الرحمن: 50]، ومرد ذلك هو أن صوت الخاء الغليضة أشد من صوت الحاء الرقيقة.

3- قال تعالى: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الزخرف: 55]، قال علي بن أبي طالب: آسفونا يعني أسخطونا، فالأسف في الحقيقة هو شعورٌ خطير ينال من النفس ويصل إلى درجة السخط، أما العسف فهو شعورٌ نفسي سلبي يشبه الأسف غير أنه أقل منه شدةً، فالأسف أغلظ من العسف، ذلك أن العين أخت الهمزة، غير أن صوت العين أقل قوة من صوت الهمزة.

4- قال الرسول ﷺ: «ويُرفع أهل الغرف إلى غرفهم في درةٍ بيضاء، ليس فيها قصمٌ ولا فصمٌ»، فالقصم هو الهدم والتحطم والدق وانكسار الشيء حتى يَبين وينفصل بعضه من بعض، أما الفصم فهو تصدع الشيء من غير أن ينكسر وينفصل بعضه من بعض، حيث يترك فيه شقوقاً من غير أن تبين أجزائه، لأن صوت القاف المنفجر أشد من الفاء الخافتة، ويتشابه الفصم مع القسم في المعنى، فالقصم إذن أشد من القسم لأن الصاد في الأولى أقوى من السين في الثانية.

5- القطْر والقتْر والقدْر: القطْر هو كثرة السخاء والإغداق والعطاء، أما القتْر فعكسه إذ هو الشح والبخل والمنع والقلة، أما القدْر فهو وسط بينهما، ذلك أن صوت الطاء السامِية المتصعدة أشد قوة من صوت التاء الخافية المتسفلة، وتوسط صوت الدال بينهما، فليس لها صعود الطاء ولا نزول التاء.

6- القضم والخضم: القضم لأكل الصلب اليابس نحو: قضمت الدابة شعيرها، والخضم لأكل الرطب؛ كالبطيخ والقثاء، والخضم بأقصى الأضراس، والقضم بأدناها، لأن صوت القاف الشديد المجهور المستعلي أشد قوة من صوت الخاء المهموس الرخو.

7- سَدَّ وصَدَّ: الصد لمنع حركة الأشياء العظيمة مثل الجيوش أو جانب الجَبَل والوادِي والشِّعْب، فهو أعظم من السد الذي يكون لمنع حركة المياه العادية أو منع صدور حركة الأشياء الصغيرة والمحدودة مثل الباب والثقْب ورأس القارورة ونحو ذلك؛ أي إذا كان الموقوف قويا عظيما فيناسبه صوت الصاد أما إذا كان الموقوف بسيطا فيناسبه صوت السين، وذلك يترجمه زيادة قوة صوت الصاد عن صوت السين.

8- وسيلة ووصيلة: الوصيلة أصلها من اتصال الشيء بالشيء ومماسَّتِه له، وكونه في أكثر الأحوال بعضًا له؛ كاتصال الأعضاء بالإنسان وهي أبعاضه، ونحو ذلك، وهي أقوى معنىً من الوسيلة، لأن التوسل ليست له عِصْمة الوصل، فالتوسل يضعف إلى أن يكون المتوسِّل جزءًا أو كالجزء من المتوسَّل إليهِ، وبالتالي تطلق الوسيلة على الشيء المرتبط ارتباطا ضعيفا مثل ارتباط العصا بالإنسان، وتفسير ذلك أن الصاد أشد قوة من السين، لما فيها من الاستِعلاء.

9- الخذو والخذأ: الخذو هو استرخاء الأذن بسبب عيب خلقي، فلا يُسبُّ به ولا يُتناهى في استقباحه، أما الخذأ فهو الذل والهوان، وهو من أقبح العيوب، وأذهبها في المرْوءةِ والسب، فالخذأ أخطر من الخذو، ذلك لأن الهمزة أقوى من الواو. فأقوى الصوتين لأقوى العيبين، وأضعفَهما لأضعفهما.

10- رأى ابن جني أن معنى كلمة (بحث) يُفهم انطلاقا من الدلالة الصوتية لحروفها، فالباء لغلظها تشبه بصوتها خفقة الكف على الأرض، كصوت ضرب رجل الأسد على الأرض، والحاء لصحلها تشبه مخالب الأسد وبراثن الذئب ونحوهما إذا غارت في الأرض، أما الثاء فيوافق صوت نفث رجله وبثها للتراب، وهذا أمر تراه محسوسًا محصلًا. وكذلك معنى كلمة (غرق)، فصوت الغين يوافق الغيبوبة (غار، غاب، غاض...)، والراء يوافق تكرار الحركة، والقاف يوافق اصطدام الشيء بسطح الماء.